أكثر من ثمانية طلاب متعلم فضلاً عن الصغار، ومدرسة للطب تدرس العلوم كلها بالعربية؛ ولأساتذتها فضل كبير على ما وضع من المصطلحات العلمية في لغة العرب. وفيها مدرسة للحقوق العربية. وفيها أنشئ أول مجمع علمي عربي صحيح. وفي الشام كثير من الآثار الباقية من القرون الخالية: كالقلعة والسور، وللمدارس، وللمارستانات، وللمساجد القديمة، والربط والخانات، ولكل من ذلك حديث طويل وتاريخ حافل، ولكن الأدلاء الجاهلين لا يعرفونها ولا يدلون السياح عليها. وفيها مدافن كثيرين من أعلام الإسلام في السياسة والعلم والأدب والتصوف. وفي مكتبتها الظاهرية نوادر المخطوطات، حتى أنها لتعد أغنى الخزائن الإسلامية بكتب الحديث. وفي المكتبات الخاصة مخطوطات فريدة. ودمشق ذاخرة بالعلماء في كل فن وعلم

وليس للعروبة مثل دمشق موئلاً وملاذاً، وليس في المسلمين مثل أهلها تمسكاً بالدين وإقامة لشعائره، فمساجدها معمرة أبداً؛ فيها كل شاب متأنق تراه فتحسبه من شرّاب مياه النايمس أو السين، وهو مسلم حقاً، مؤمن صدقاً، ناشئ في طاعة الله؛ ومساجد بلاد العرب إن امتلأت فبالشيوخ والشيب!

والمنكرات في دمشق مقموعة وأهلها الأذلاء. وللعلماء العقلاء المخلصين منزلة عند أهل دمشق ليس لأحد من أبناء الدنيا مثلها. والفجور في نساء الشام قليل نادر، والاحتشام والستر عام شامل. وأهل الشام كلهم في الرضا رقته وسيلانه، وفي الغضب شدته وطغيانه، بل ربما كان لهم من البركان فورانه وثورانه

* * *

وبعد فأي مزاياك يا دمشق أذكر، وإلى أي معاهدك أشتاق، وأيها أحن إلى حسنه وأهيم بجماله، وفيك الدين وأنت الدنيا، وعندك الجمال وعندك الجلال، وأنت ديار المجد وأنت ديار الوجد، جمعت عظمة الماضي وروعة الحاضر، وسيكون لك المستقبل... المستقبل لك يا دمشق، عشت وعاش بنوك والسلام عليك ممن غربته عنك وأنكرته، وأشقيته بالوفاء حين أسعدت بالغدر الغادرين

علي الطنطاوي

من دموع عذراء

العبير النائح

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنّي أراكِ كزهرةٍ في الناب ناعمةِ العبيرْ
مذعورةِ الأكمامِ بينَ خطا السمائمِ والهجيرْ
عذراءُ يتمها الخريـ ـفُ فلا ظلالَ ولا غديرْ
سكنتْ كطيفٍ معذّبٍ وهفتْ كآهةِ مستجيرْ
ودنا الظلامُ فلفها في ثوبِ محزونٍ كسيرْ
فكأنها في ليلهِ سرٌّ يغلّفهُ الضميرْ
وكأنها في فجرهِ حلمٌ يطيرُ ولا يطيرْ...

يا ليتني كنتُ الظلالْ
أو كنتُ ينبوعَ التلالْ
لسكبتُ عمري في الرمالْ
روحاً يرفرفُ كالخيالْ

يسقيكِ من شفةِ الربيـ ـعِ رحيقَ فتنتكِ النضيرْ
ويحيلُ مهدكِ جنةً للحبِّ والهةَ الأثيرْ
أنا في رباها نسمةٌ بسوى عفافكِ لا تسيرْ!
أنا في ثراها جدولٌ لصباكِ رقراقٌ نميرْ!
أنا في شذاها نفحةٌ عطرُ الخلودِ بها أسيرْ!
أنا في سماها كوكبٌ في برجهِ بكِ يستنيرْ!
أنا في هواها قبلةٌ حرّى تخلّدهُ السعيرْ
ستظلُّ في شفتيكِ لا ترقى إلى اليومِ الأخيرْ

محمود حسن إسماعيل